من أقبية السجن إلى آفاق الشعر

قراءة تحليلية لدواوين راشد الزبير في سجنه

طارق عبدالحميد يونس

الهيئة الليبية للبحث العلمي.

صلاح سالم كمش

الهيئة الليبية للبحث العلمي.

الملخّص:

يقدّم هذا البحث المعنون «من أقبية السجن إلى آفاق الشعر» قراءة تحليلية لدواوين الشاعر الليبي راشد الزبير السنوسي التي كتبها أثناء سجنه بين عامي 1970 و1988، وهي: من كوة الزنزانة، وعائد من العالم الآخر، والفجر يكتسح المدى ويسعى البحث إلى إبراز أثر تجربة السجن في تشكيل الرؤية الشعرية لدى الشاعر، وكيف تحوّل القيد إلى مصدر إبداعٍ وصمود.

اعتمدت الدراسة المنهجين الوصفي والتحليلي في تتبّع الصور البلاغية والرموز التي عبّرت عن المعاناة والأمل، كرموز الجدران، والليل، والفجر، والطائر، لتكشف عن رحلة الشاعر من الألم إلى الانعتاق. وتخلص إلى أن شعر راشد الزبير يمثّل شهادة إنسانية تؤكد أن الكلمة قادرة على مقاومة القيد، وأن الحرية فكرة لا تُسجن.

الكلمات المفتاحية: راشد الزبير السنوسي– أدب السجون– الشعر الليبي– الحرية– المقاومة.

Abstract:

This research, entitled “From the Dungeons of Prison to the Horizons of Poetry”, presents an analytical reading of the poetry collections of the Libyan poet Rashid Al-Zubair Al-Sanousi, written during his imprisonment between 1970 and 1988: From the Cell’s Aperture, Return from the Other World, and Dawn Sweeps Across the Horizon.

The study aims to highlight the impact of the prison experience on the poet’s vision and how confinement became a source of creativity and resilience. It employs descriptive and analytical approaches to trace the rhetorical images and symbols expressing suffering and hope—such as the walls, night, dawn, and bird—revealing the poet’s journey from pain to liberation.

The research concludes that Rashid Al-Zubair’s poetry stands as a human testimony affirming that the word can resist chains, and that freedom is an idea that cannot be imprisoned.

المقدمة:

يُعَدّ الشعر سلاحًا يعبّر به الإنسان عن معاناته، ويُخلّد به تجربته، خاصة عندما يكون في قبضة القهر والاستبداد، وعبر التاريخ لطالما كان السجن موطنًا لكبار الشعراء الذين حوَّلوا جدرانه الصامتة إلى قصائد تنبض بالحياة، وتنطق بالحرية والمقاومة، ومن بين هؤلاء، يبرز الشاعر الليبي راشد الزبير السنوسي، الذي عاش تجربة السجن السياسي لمدة ثمانية عشر عامًا من (1970– 1988)، فجعل من قيده مدادًا، ومن ظلمة زنزانته أفقًا واسعًا للشعر. وفي هذا البحث المُسمّى "من أقبية السجن إلى آفاق الشعر"، نقوم بقراءة تحليلية لدواوين الشاعر راشد الزبير الثلاثة التي كتبها خلال محنته في سجنه وهي: "من كوة الزنزانة"، و"عائد من العالم الآخر"، و"الفجر يكتسح المدى"، وقد تحصّل الباحثان عليها مخطوطة من الأستاذ: "محمود اللبلاب رحمه الله"، مدير إدارة المطبوعات بوزارة الثقافة بحكومة الوحدة الوطنية، وهي دواوين تختلف عن غيرها لأنها كُتبت داخل الزنازين، تُجسّد تجربة السجن في أبعادها المختلفة، حيث يتحول السجن من مجرد مكان مادي مغلق إلى فضاء نفسي وفكري يعكس معاناة السجين وتوقه للحرية، تتجلى في أشعاره صور الألم، والحرمان، والعزلة، ولكنها في الوقت نفسه تعبّر عن الصمود والأمل في كسر القيد.

ويحاول البحث الكشف عن أثر تجربة السجن في تشكيل عالم راشد الزبير الشعري، وكيف استطاع عبر الرموز والصور الشعرية أن يترجم معاناته، ويوثّقها شعريًا، مما يجعل هذه الدواوين ليست فقط شهادة شخصية، بل مرآة للوجدان الإنساني في مواجهة القهر. فهل استطاع راشد الزبير تجاوز قيود السجن من خلال الشعر؟ وكيف عبّر في دواوينه الشعرية عن تجربة السجن؟ وما هي أبرز الصور الفنية التي استخدمها لتجسيد المعاناة والأمل؟ هذا ما سنحاول استكشافه في الصفحات القادمة.

ويهدف البحث إلى تحليل جوانب معاناة السجن كما ظهرت في الدواوين، ودراسة الصور البلاغية والرمزية التي عكست واقع السجن وآفاق الحرية، مع إبراز قيمة الشعر كوسيلة للتعبير عن الألم والصمود.

وسلك البحث المنهج التحليلي لتحليل نصوص مختارة من الدواوين، والمنهج الوصفي لتوصيف تجربة السجن كما ظهرت في الشعر. فجاء في مقدمة ومدخل وعناوين رئيسة، ثم خاتمة ونتائج وتوصيات.

مدخل:

سيرة موجزة عن الشاعر راشد الزبير السنوسي:

الاسم والمولد والنشأة: هو راشد الزبير بن أحمد الشريف السنوسي، سليل العائلة السنوسية، ولد بتاريخ 1 أكتوبر 1938، في مرسى مطروح بمصر من أبوين ليبيين، حيث كان والده ضمن آلاف المهاجرين الليبيين الذين اضطروا إلى الهجرة من أرض الوطن بعد أن استباح الإيطاليون كامل التراب الليبي. درس راشد السنة الأولى والثانية من التعليم الابتدائي بمرسى مطروح، ثم رجع مع أسرته سنة 1948 بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى أرض الوطن وهو في سن العاشرة. أكمل راشد دراسته الابتدائية بمنطقة الأبيار، وكان والده الزبير يشغل منصب ناظر المدرسة وقتها في الخمسينيات، ودرس التعليم الثانوي في مدينة بنغازي ومكث فيها حتى تخرج من قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالجامعة الليبية عام 1962. عمل في مجال التدريس بعد تخرجه مباشرة عام 1963، فقام بتدريس مادة اللغة العربية بمدرسة ثانوية بنغازي، وفي عام 1965 تم تعيينه نائبا لمديرها، ومن ثم مفتشا للتعليم الثانوي في تخصصه اللغة العربية، وفي عام 1967 تم تكليفه مراقبًا لإدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام والثقافة والفنون ببنغازي[1].

1. لقاء تلفزيوني باسم "سيرة" عُرض في قناة 218 بتاريخ 24. 2. 2024، من إعداد الأستاذ عبدالحكيم بن عثمان.

محنة السجن والاعتقال:

اتُّهِم راشد بما عُرف لاحقًا بقضية انقلاب معسكر الأبيار عام 1970، وهي إحدى المحاولات المبكرة للإطاحة بنظام القذافي بعد انقلابه على الحكم في 1969، فعندما وصل القذافي إلى السلطة بدأ في تهميش بعض الضباط في مجلس قيادة الثورة، وفرض السيطرة على الحكم بشكل منفرد، مما دفع بعضهم– خاصة المقربين من النظام الملكي السابق أو الرافضين لنهجه الراديكالي– إلى التخطيط للإطاحة به، إلا أن المخابرات الليبية تمكنت من كشف الخطة قبل تنفيذها، مما أدى إلى إحباطها قبل أن تبدأ فعليا، وتم اعتقال جميع المشاركين فيها بسرعة، وكان راشد الزبير السنوسي من بين المعتقلين، حيث ألقي القبض عليه يوم 1 سبتمبر 1970، وبقي في السجن العسكري ببنغازي تحت التحقيق المبدئي ثلاثة أسابيع، قبل أن يُنقل إلى سجن الحصان الأسود بطرابلس. وفي عام 1971 بدأت المحاكمات بعرض المعتقلين أمام المحكمة العسكرية، وصدر الحكم بسجن راشد الزبير 10 سنوات، لكنه ظل في المعتقل لفترة أطول، حيث لم يُطلق سراحه إلا في مارس 1988 ضمن ما عرف بقرار "أصبح الصبح"، وبذلك قضى ما يقارب ثمانية عشر عاما، معظمها في سجن أبوسليم[1].

من أقبية السجن[2]

تُعد أقبية السجن في الشعر فضاءً رمزيًا يعكس أبعادًا إنسانية عميقة تتجاوز كونها مجرد مكان مادي، فالسجن ليس مجرد جدران مغلقة وأبواب موصدة، بل هو رمز لمعاناة الإنسان وصراعه مع القيود، سواء كانت مادية أم نفسية، وقد تمكن الشعراء من

1. المصدر نفسه.

2. أقبية: جمع قباء، بناء مستدير تحت الأرض. ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبدالحميد، (ت 1424 هـ)، الناشر: عالم الكتب، ط 1، 2008، ج 3، ص 1773.

تحويل هذا الفضاء المغلق إلى نافذة للتأمل في الذات والحرية والأمل، مستخدمين أدواتهم الإبداعية في التعبير عن هذه التجربة، والشاعر راشد الزبير لم يكن استثناءً، إذ صوّر أقبية السجن بأسلوبه الخاص، وبرز ذلك في وصفه للسجن كفضاء مغلق عبر مجموعة من الصور الشعرية.

أولًا: وصف السجن كفضاء مغلق:

رسم راشد صورة السجن كعالَمٍ مغلق يحكمه القيد والسجان، مما يولّد الأرق والمعاناة النفسية، فقال:

هَاتِي يَدَيكَ فَقَدْ مَلّتْنِيَ الطُّرُقُ وَمَلّنِي القَيدُ والسَّجّانُ والأَرَقُ[1]

في هذا البيت، تتجلى ثلاثة عناصر رئيسية تعكس طبيعة السجن: أولها القيد الذي يمثل الاستعباد وكبح الحرية، ثم السجان الذي يجسد السلطة الظالمة التي تفرض هذه القيود، بعدها الأرق الذي يعكس المعاناة النفسية للسجين نتيجة العزلة والظلم، وهكذا يصبح السجن أكثر من مجرد جدران، بل فضاء خانق يحيط بالسجين ويؤرقه. وفي موضع آخر، يُصوّر السجن كأنه فضاء مملوء بالمكائد التي تحاصره وتوهمه بالخلاص، فيقول:

تُحَاصِرُنِي فِخَاخُ الكَيْدِ مَوّهَ وَجْهَهَا الْمَلَقُ[2]

هنا، السجن ليس مجرد أسوار، بل شبكة من الحيل والفخاخ التي تقيد السجين نفسيًا وجسديًا، ورغم محاولته الهروب، فإنه يجد نفسه عالقًا في متاهة بلا مخرج:

فَأَهْرُبُ حَيْـثُ لا أَدْرِي لِيقطَعَ دَرْبِـيَ النَّفـقُ[3]

1. ديوان: عائد من العالم الآخر، قصيدة بطاقة عودة، ص 2.
2. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة من كوة الزنزانة، ص 19.
3. المصدر السابق، ص 19.

النفق هنا يرمز إلى طريق مغلق ومظلم، حيث كل محاولة للهروب تنتهي بمواجهة جدار آخر، مما يعمّق الإحساس بالعزلة واليأس. وتبرز الجدران كأحد أهم الرموز التي تجسد ضيق السجن في قوله:

سِوَى الجُدْرَانِ صَامِتَـةٌ بِهَا النَّكبَـاتُ تَعْتَنِـقُ[1]

الجدران هنا ليست مجرد حدود مادية، بل تمثل حاجزًا نفسيًا خانقًا، حيث الصمت يعكس العزلة والحرمان. ويكتمل المشهد حين يرسم راشد صورة العالم المظلم داخل السجن:

وَتُظْلِمُ حَوْلِـيَ الدّنيَـا فَلا شَفَـقٌ وَلا فَلَـقُ[2]

انعدام الشفق والفلق في هذا السياق يرمز إلى غياب الأمل والتجدد، مما يعمّق شعوره بالاختناق، وهو ما يعبر عنه بصورة أخرى أكثر كثافة:

وَتَقْتَلُ عُتْمَةَ الجُدْرانِ أَنفَـاسِـي فَأَخْتَنِـقُ[3]

العتمة هنا ليست مجرد غياب للنور، بل قوة خانقة تسلبه القدرة على التنفس، في إشارة إلى القهر المادي والنفسي الذي يفرضه السجن. وفي بُعد آخر من معاناة السجين، يتحدث راشد عن العزلة القسرية التي فرضها السجن عليه:

بَاعَدَتْنِي الأَقْدَارُ عَن طِيبِ مَغْنَاهُ وَعَن جِيرَتِي وَأَهل وِدَادِي

وَرَمَتنِي هُنَا رَهِينَ هَوَى الأَسْوَارِ وَالْقَيد والسّنين الشّدادِ[4]

الأسوار والقيد يجسدان الحصار المكاني، في حين تشير السنين الشداد إلى عبء الزمن الذي يزيد من معاناة السجين، حيث لا يمر الوقت إلا ليضاعف شعوره بالعزلة والوحشة، ويؤكد هذا الشعور بقوله:

1. المصدر السابق، ص 20.
2. المصدر السابق، ص 20.
3. المصدر السابق، ص 24.
4. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة من عذيري، ص 3.

حَيثُ لا خِلّ لا أَنِيس نُشَاكِيهِ سِوَى الصّمت أوْ وُجُوه الأَعَادِي[1]

الوحدة داخل السجن تُرسم بوضوح هنا، إذ لا يوجد حوله سوى الصمت القاتل، أو وجوه الأعداء التي تراقبه، مما يجعل هذا الفضاء أكثر قسوة. وفي صورة أخرى، يعبر راشد عن السجن كقيد يطال الفكر والتعبير نفسه:

لاَ تَصْنَعْ بِيَدَيكَ السّياف لِيَقمعَ شِفّةً مُبتسِمَهْ

ويقصّ جناحي عصفورٍ ينتفضُ لِكَي يَنسَى أَلَمَهْ[2]

السجن هنا لا يقتصر على الحبس الجسدي، بل يمتد ليقمع حتى الشفة المبتسمة والعصفور الذي يحاول تجاوز معاناته، مما يعكس مدى شمولية القمع داخل هذا الفضاء المغلق. ولا يقتصر السجن على العزلة، بل يفرض رقابة مستمرة على السجين:

ويظلّ جندك يرصدون الخطو منْ باب لبابْ[3]

الأبواب هنا ترمز إلى قيود متتابعة، حيث لا يُسمح للسجين بأي مساحة للحركة دون أن يكون تحت أعين السلطة القامعة. ويعكس راشد مشهد السجن كمكان محصّن بالمراقبة والخوف، فيقول:

يَعْلُو الجِدَارُ أمامَهُ، وَوَرَاءَهُ تَقِفُ الحِرابْ

حتّى لقدْ فَقَدَ المُضيّع في السّرَاديبِ اصْطِبَارهْ[4]

الجدران والحراب تجسد العزل الكامل للسجين، بينما السراديب توحي بالضيق والاختناق، حيث يفقد السجين حتى القدرة على التحمل. وفي مشهد آخر، يرسم صورة القبو الذي يفقد فيه السجين الإحساس بالمكان والزمان:

---

1. المصدر السابق، ص 4.
2. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة الكلمة، ص 5.
3. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة محضر تحقيق، ص 19.
4. المصدر السابق، ص 19، 21.

أَنسَاهُ هَولَ الْقَبْوِ دَارَهْ، أَنسَاهُ جَارهْ[1]

القبو هنا ليس مجرد مكان، بل تجربة نفسية مريرة، حيث يطمس السجن ذاكرة الإنسان ويربطه فقط بمعاناته. يحاول السجين عبثًا البحث عن بصيص أمل وسط هذا الظلام الدامس، ويُجسِّدُ هذا قوله:

هَذَا فِي القَيْدِ يُعَالِجُهُ وَيَمدّ إِلَيْكَ بِيُمْنَاهُ[2]

فالسجين المكبل يحاول التحرر، لكنه يجد نفسه عاجزًا أمام قيوده التي تثقله وتحد من حركته. وفي لحظة من الحيرة واليأس، يلتفت السجين إلى الليل باحثًا عن رجاء، لكنه لا يجد سوى الصمت المطبق:

حيران يقلبّ طرف اليأس لعلّك تسمع شكواهُ[3]

هنا، يُصور السجين وهو في حيرة وألم، يتطلع إلى الليل وكأنه يبحث عن أمل، لكن الليل لا يمنحه إجابة، مما يعزز شعور العزلة والاحتجاز. فالليل هنا ليس مجرد ظلام حسي، بل هو تجسيد لحالة العزلة القاتلة التي يعيشها السجين، حيث لا يسمع أحد أنينه، ولا يجد من يخفف معاناته، وتزداد قسوة السجن حين تتحول الجدران والأسوار إلى رموز للقمع:

لكنّ بحارك لا تصغي ولها صمت ما أقساهُ[4]

حيث يشير إلى جدران السجن التي لا تستجيب لصراخ السجين، تمامًا كما لا يستجيب البحر الهائج لمن يحاول النجاة من الغرق. وفي بيت آخر يشير إلى قسوة السجن والليل معًا، حيث لا يجد السجين من يصغي إلى شكواه، ما يرسّخ فكرة العزلة والمعاناة.

---

1. المصدر السابق، ص21.
2. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة الليل، ص 6.
3. المصدر السابق، ص 6.
4. المصدر السابق، ص 6.

أهربُ رغم السّورِ والجنود والظّلامْ[1]

هذا البيت يبرز إحساس السجين بأنه محاصر داخل أسوار السجن، محاطًا بالجنود والظلام، مما يجعله مقيدًا جسديًا ونفسيًا، وفي مكان آخر تشبيه قوي للسجن بأنه "محرقة عذاب":

تلقي بي السّجون في محرقة العذابْ[2]

وهذا يعكس شدّة المعاناة الجسدية والنفسية داخله، وكأنه مكان لإذابة الإنسان وتدميره. لا يتوقف الأمر عند القيود والعزلة، بل يمتد إلى التعذيب الجسدي والنفسي، حيث يجد السجين نفسه بين سياط الجلاد وإهانات السجّان، مما يضاعف من معاناته:

تلتهم السّياط قوّتي بلا حسابْ[3]

فالجلد والتعذيب لا يترك مجالًا للراحة أو النجاة، بل يستنزف قواه بلا رحمة. وتستمر الإهانة حين يُجبر السجين على الامتثال للأوامر القمعية:

يُوقفني يُجلسُنِي السّجّانُ بِالسّبابْ[4]

وهنا، لا يقتصر القمع على العنف الجسدي، بل يمتد إلى الإذلال اللفظي، ليشعر السجين بانعدام قيمته كإنسان. ويصل الشعور بالعزلة إلى ذروته عندما يدرك السجين أنه محروم حتى من أبسط أشكال العطف:

ولا يَدٌ حَانِيَةٌ تَمُدّ لِي كَـأْسَ شَرَابْ[5]

فلا أحد يقدم له العون، ولا رسالة تصل من الأهل والأحبة، مما يعزز إحساسه بالغربة والانفصال عن العالم:

---

1. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة رسائل إلى مدينتي، ص 47.
2. المصدر السابق، ص 50.
3. المصدر السابق، ص 50.
4. المصدر السابق، ص 50.
5. المصدر السابق، ص 50.

لا شيء من هناك من أهلي والصّحابْ[1]

هنا يظهر انقطاع السجين عن أحبائه وأصدقائه، مما يعزز فكرة السجن كفضاء مغلق يعزل الإنسان عن مجتمعه.

لا بارقٌ يلمع في الظلّمة لا خطابْ[2]

في هذا البيت، يتضح غياب الأمل تمامًا داخل السجن، حيث لا توجد أخبار مفرحة ولا رسائل تطمئن السجين، مما يضاعف إحساسه بالوحدة والقهر.

قد عشت عامين في بيداء توحشني منك العيون وهذا المبسم العطر[3]

يشبّه السجن بالبيداء القاحلة التي تفتقر إلى الحياة والأنس، مما يعكس مدى الوحشة والعزلة التي يعاني منها، خصوصًا مع غياب أحبّته عنه. والقيود في السجن، لا تقتصر على السلاسل التي تكبل اليدين فقط، بل تمتد إلى الجدران التي تحيط بالسجين، فتسلبه رؤيته للعالم وتمنعه من استنشاق الحرية، يصف راشد هذا الشعور بقوله:

فَمَرائِيك جِدَارٌ شَائهُ الوجْهِ صَفِيقْ[4]

فالسجن هنا ليس مجرد بناء، بل حاجز يفصل بينه وبين الحياة، يحرمه من رؤية السماء، ويمنعه من الشعور بأي دفء إنساني، ويُحوله إلى شخص رفيق للهموم لا يعرف الخلاص:

صِرتُ للهمّ رَفِيقْ[5]

---

1. المصدر السابق، ص 50.
2. المصدر السابق، ص 50.
3. ديوان: عائد من العالم الآخر، قصيدة لم يهنإ القلب، ص 6.
4. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة الجرح، ص 37.
5. المصدر السابق، ص 37.

ويؤكد ذلك في صورة أكثر قتامة، فإلى جانب القهر النفسي، يعاني السجين أيضًا من الحرمان المادي، حيث يصبح الجوع والعري جزءًا من يومياته، والمرض بلا دواء رفيقًا دائمًا له:

تلتوي القضبان حيّات فتدنى الأجلا

وتعاني الجوع والعري وتشكو العللا[1]

حيث تتحول القضبان إلى أفاعٍ ملتوية، توحي بالخطر الذي يهدد حياته، وكأن السجن ليس مجرد مكان للاحتجاز، بل مصيدة للموت البطيء، والحياة داخله تتحول إلى صراع مستمر مع الحرمان، حيث تُسلب منه أبسط حقوقه، ويصبح الألم الجسدي إضافة جديدة إلى معاناته النفسية، ورغم هذه المعاناة، لا يزال في داخله جزء يرفض الانكسار، جزء يصر على رفع الرأس عاليًا رغم القيود، يقول:

وارفع قامتكَ لتُفلتَ من طوق الجُدرانْ[2]

يشير هنا إلى أنه محاط بجدران تمنعه من التحرك بحرية، وبالتالي يصبح السجن فضاءً مغلقًا، ليس فقط ماديًا ولكن أيضًا نفسيًا، وهناك إحساس بالعجز عن الهروب أو التحرر.

تأكل وتنام، ولا تزعج أذنيك الرّيحْ[3]

هذه الصورة تبين الحياة الروتينية في السجن، حيث يقتصر الشخص على البقاء في مكان واحد دون حرية للتحرك أو التفاعل مع العالم الخارجي، فهناك إحساس بالركود والجمود في الحياة داخل السجن.

---

1. المصدر السابق، ص 39.
2. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة سجن أبوسليم، ص 116.
3. المصدر السابق، ص 115.

لا ترفع صوتَك أو واجه سوط السجّانْ

يتآكل عمرك لا أكثر، وتخيفُك أقدام العسكر[1]

هذه العبارات تُظهر الرقابة المستمرة من قبل السلطات، حيث يتم التحكم في كل حركة أو كلمة، ويظل الشخص تحت تهديد دائم من السجّان والعسكر.

فاللّيل عشومٌ مغترّ، يُربي الآلامَ ويجترّ[2]

الليل هنا يمثل جزءًا من السجن، إذ هو مرتبط بالألم والظلام النفسي، ويعزز من شعور الشخص بالعزلة والخوف. ويؤكد هذا الإصرار بقوله:

لا تتوقع أن يلد الغيب لكَ الأملا[3]

فالحرية لن تأتي من العدم، ولا يمكن انتظارها بلا نضال، بل يجب انتزاعها بالقوة والصمود.

ثانيًا: تصوير المعاناة النفسية:

تتجلى المعاناة النفسية للشاعر داخل السجن من خلال إحساسه بالضيق والإنهاك النفسي، والذي يظهر واضحًا في قوله وهو يصور عودته إلى ذاته محملًا بالحرقة والشوق:

أعود ملء ضلوعي حرقةً وجوى أعود والشّوق في عيني يأتلق[4]

هنا، يظهر الشعور الداخلي العميق بالألم والمعاناة، حيث تشير "حرقة" إلى ألم نفسي حاد، بينما تعبر "الجوى" عن الحزن العميق الكامن في داخله، مما يجسد التمزق النفسي الذي يعيشه بين الشوق والحرمان. ويمضي في تصوير صراعه النفسي بين الأمل واليأس، فيقول:

---

1. المصدر السابق، ص 115، 116.
2. المصدر السابق، ص 117.
3. المصدر السابق، ص 116.
4. المصدر السابق، ص 2.

أضمّ فيكِ المنى كانت تراوحني تكاد في لحظاتِ اليأس تنسحقُ[1]

يبرز راشد تأرجحه بين الأمل الذي يحاول التشبث به واليأس الذي يكاد يسحقه، فلفظة "تنسحق" توحي بشعوره بالعجز والانكسار تحت وطأة الظروف القاسية، مما يوضح مدى هشاشته النفسية في مواجهة المحنة. كما يصور حاجته إلى من يخفف عنه آلامه فيقول:

قد جئتُ أحمل آلامي لأودعَها عينين يَعذُبُ في صَفْويْهِمَا الغَرقُ[2]

يوضح هنا أن المعاناة النفسية التي يحملها باتت ثقيلة عليه، حتى إنه يبحث عن ملاذ يفرغ فيه هذه الأحزان، وتعبيره "أحمل آلامي" يشير إلى العبء النفسي الذي ينوء به، فيما تعكس عبارة "الغرق في الصفو" رغبته في إيجاد لحظة صفاء وسط اضطراباته النفسية. ويتابع وصف حالته النفسية المتأزمة:

يُطـلّ الّليـلُ والأرق ويصحو الصُّبح والقلقُ[3]

يعبر هنا عن معاناته المستمـرة، إذ يصبح الليـل، الذي يُفترض أن يكون وقت الراحة، زمنًا للأرق، بينما يتحول النهار إلى ساحة للقلق، مما يصور حالته النفسية المضطربة التي لا تعرف السكون. ويمضي في تصوير هذا الألم قائلًا:

يضاجع وحدتي التّعذيبُ لا يـُروَى لـه شَبـقُ[4]

يشخص راشد العذاب كرفيق دائم لوحدته، حيث تستمر آلامه دون انقطاع، واستخدامه لتعبير "يضاجع وحدتي" يشير إلى تمازج العذاب مع كل لحظاته، مما يعكس معاناة نفسية

1. المصدر السابق، ص 2.
2. المصدر السابق، ص 4.
3. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة من كوة الزنزانة، ص 19.
4. المصدر السابق، ص 19.

مستمرة لا يجد منها مفرًا. كما أن معاناته تمتد لتشمل أحلامه التي تطاردها مشاهد القهر والظلم:

وأحلامي تطــاردهــا خيالاتٌ لمـن سُحِقُـوا[1]

هنا، لا يقتصر الألم على ذات الشاعر فقط، بل يتعداه إلى صور الظلم الجماعية التي شهدها، فالأحلام التي تمثل الأمل، تصبح مهددة بفعل الخيالات المؤلمة للضحايا الذين سُحقوا، مما يضيف إلى أعبائه النفسية. وتتعمق حالته النفسية أكثر، حيث يصور عزلته الكاملة داخل السجن:

وتظلم حولــي الدّنيــا فلا شفــقٌ ولا فلــقُ[2]

يعكس هذا البيت الإحساس باليأس التام، فغياب "الشفق والفلق"، وهما رمزان للنور والتجدد، يوحي بانعدام الأمل وانقطاع الرجاء، مما يرسخ شعوره بالغربة النفسية. ويصل إلى ذروة الصراع الداخلي:

أُحِسُّ اليّأسَ يَجذبُنِـي ويَستهوينِيَ الغرقُ[3]

في هذه الصورة، يتجسد اليأس كقوة حية تجذب الشاعر نحو الاستسلام، فكلمة "الغرق" تعكس شعوره بالتلاشي النفسي والانهيار العاطفي، مما يدل على مدى تأثير السجن على نفسيته. وتمتد هذه المعاناة إلى إحساسه بالاختناق داخل الجدران، فيقول:

وتقتلُ عتمة الجدران أنفــاســي فأختنــقُ[4]

هنا، يتحول المكان نفسه إلى كيان قاتل، حيث تضغط العتمة على أنفاسه حتى يشعر بالاختناق، فالسجن لا يقيده جسديًا فقط، بل يخنقه نفسيًا أيضًا، مما يبرز ثقل العزلة والقهر. ويصف تأثير هذه العزلة على جسده ونفسيته فيقول:

1. المصدر السابق، ص 19.
2. المصدر السابق، ص 20.
3. المصدر السابق، ص 25.
4. المصدر السابق، ص 24.

تغصّ بحلقي الشّكـوى ويغمرُ جِسْميَ العرقُ[1].

تصوير "غصة الحلق" يرمز إلى كتمانه للآلام وعدم قدرته على البوح بها، فيما يعبر "غمر العرق" عن حالة القلق والتوتر الدائم التي يعيشها. ويُفصح راشد عن إحساسه بالإنهاك النفسي، حيث أرهقته السنوات العشر الأولى الثقيلة التي بددت قوته وأضعفت روحه، لكنه في المقابل لا يزال يبحث عن الصفاء النفسي الذي ينشده للخلاص من هذه المعاناة:

وصفاء له الجوانح تهفو بعد عشرٍ بدّدن جهدي وزادي[2]

هذا الشعور بالضيق يجعله يلجأ إلى الحرف كرفيقٍ يشاركه همومه، فهو الوحيد الذي يفهم معاناته ويواسيه في عزلته القاتلة، حتى أن الحروف نفسها تتأوه لحزنه وتشاركه البكاء:

وَصَحِبتُ الحَرفَ لِيُؤْنِسَنِي كَرَفِيقٍ خَبِرَ المُعْتَرَكَ

وَشَكَوتُ له ما أرّقنِي فتأوّهَ مِنْ حُزنٍ وَبكَى[3]

لكن رغم ذلك، يبقى قلبه مسكونًا بالخوف، ذلك الشعور الذي يتغلغل في أعماقه دون أن يدرك سببه أو يجد له تفسيرًا واضحًا:

فالخافقُ مسكونٌ بالخوفِ ولا يدري ماذا اقترفَا[4]

إنه إحساس بالعجز أمام الأيام التي تتلاعب بمصيره دون رحمة، بل وتمتد سلطتها إلى أحلامه، فتقرر هي حتى ما يراه في منامه، وكأن مستقبله أصبح مجرد أداة في يد القدر، لا يملك حياله أي سلطة:

قلتُ الأيّام مؤرقةٌ تلهو بمصائرنَا سرفا

1. المصدر السابق، ص 23.
2. المصدر السابق، ص 4.
3. المصدر السابق، قصيدة الكلمة، ص 8.
4. المصدر السابق، ص 9.

تختارُ لناَ حتّى الأحلامَ وتجعلُ منْ غدنا ترفًا[1]

وفي ظـل هـذا الشعـور بالضياع، تصبح الأيـام كقـوة غامضة تشكـله كيفما تشاء، فتبعثره، وتفتته، وتتركه وحيدًا يواجه الليل المتجهم، حيث يزداد الصمت ثقلاً، وتتفاقم العزلة حتى يخال أن الليل نفسه بات قاسيًا عليه:

قال الأيامُ تراودني وتشكّلُ مِنْ مَزَقِي فَلَكَا

يسكنهُ الصّمتُ ويُودعُهُ الّليلُ المتعجرفُ ما حَلكَ[2]

في النهاية، لا يجد أمامه سوى الاحتماء بالحروف مجددًا، رغم أنها لم تعد تهبه الأمان كما كان يتمنى، إلا أنها تبقى الملاذ الأخير من خوفه المتربص به في كل لحظة:

وتعلّقَ بِي خَوفُ الأيّامِ ولُذتُ به أخْشَى الدّرك[3]

هذا الخوف لا يقتصر على الأيام العابرة، بل يمتد إلى المصير الذي رسمته له تجربة السجن القاسية، حيث يفقد الإنسان هويته، ويصبح مجرد رقم في ذاكرة الزمن، محكومًا عليه بتذوق كؤوس المهانة:

يا أيّها الرّقَمُ الّذي نَسِيَتْهُ ذَاكِرَةُ الزّمانِ فَذَاقَ كَاسَاتِ المَهانَه[4]

ويبلغ القلق ذروته عندما يصبح الحلم نفسه مصدر خوف، فبدلاً من أن يكون نافذة للأمل، يتحول إلى كابوس يخشى السجين اغتصابه، بينما يصبح الواقع محاصرًا بالضباب، فاقدًا لكل وضوح:

الحُلمُ يَخْشَى الاغْتِصَاب

---

1. المصدر السابق، ص 9.
2. المصدر السابق، ص 8، 9.
3. المصدر السابق، ص 8.
4. المصدر السابق، قصيدة محضر تحقيق، ص 12.

والصّحْوُ لا يَجدُ الأَمَانَ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الضّبابْ[1]

ومع استمرار هذه المعاناة، يبدأ صبره في التلاشي، وكأن الأيام القاتمة تسرق منه قدرته على التحمل، فيجد نفسه غارقًا في متاهة لا نهاية لها:

حتّى لقدْ فَقَدَ المُضَيّعُ في السّراديبِ اصْطِبَارهْ[2]

ومع استمرار السجن، يصبح الليل هو العدو الأكبر، إذ يجلب معه الوحدة والذكريات المؤلمة، ويثقل الصدر بالأحزان التي لا سبيل إلى تفريغها:

يَا لَيلُ تَمَلْمَلَ هَذَا الْكَوْنُ وَضَاقَ الصّدرُ بِأَحْزَانِهْ[3]

فالليل هنا ليس مجرد وقت، بل هو كيان ثقيل يجثم على القلب، يزيد من الشعور بالعزلة، ويمنع أي بصيص أمل من التسلل إلى الروح. هنا تصوير بديع للمعاناة النفسية، حيث أصبح الليل رمزًا للضيق والهم، والصدر المثقل بالأحزان يوحي بالكآبة والاختناق النفسي. ويضيف في بيت آخر:

حتّام الظّلمة جاثمة والأمل يلوذ بأكفانِهْ[4]

فالأمل الذي كان يومًا نورًا يهتدي به، أصبح جثة ملفوفة بالأكفان، وكأن الزمن قد قضى على كل رجاء داخله، وهنا يبرز الإحساس باليأس التام، حيث يتم تشبيه الأمل بشيء ميت يُلف بالأكفان، مما يدل على حالة نفسية من الإحباط الشديد.

يتمزّق سرّا من ألم يبدو في رعْشة أجْفانِهْ [5]

1. المصدر السابق، ص 19.
2. المصدر السابق، ص 21.
3. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة الليل، ص 5.
4. المصدر السابق، ص 5.
5. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة الليل، ص 5.

المعاناة هنا داخلية، حيث يُظهر البيت الألم الذي يكاد يفيض من خلال ارتجاف الجفون، مما يعكس الحزن الدفين والقهر المكبوت. ورغم كل ذلك، يظل هناك صراع داخلي بين الاستسلام لليأس، والتمسك بالإيمان بأن الحرية قادمة لا محالة، يقول:

ويكادُ اليأسُ يبدِّده لولا فضل من إيمانِهْ [1]

فهنا، الإيمان هو ما يمنعه من الانهيار الكامل، هو الخيط الرفيع الذي يبقيه صامدًا رغم كل الظلام المحيط به.

هذا في القيد يعالجه ويمدّ إليك بيمناهُ [2]

هنا صورة للسجين الذي يعاني نفسيًا وهو مكبل في قيده، يحاول التشبث بأي أمل، لكنه غارق في الحيرة والمعاناة. ولا يقتصر الألم داخل السجن على العنف الجسدي، بل يمتد إلى خذلان الأحبة والصمت القاسي الذي يحيط بالسجين من كل جانب، حيث يشعر أن صوته لا يصل، وأنه قد أُلقي في ظلمة منسية لا حياة فيها:

أتتركينني هنا تنهش لحمـــيَ الذّئــاب[3]

السجن هنا أشبه بغابة موحشة، حيث تنهش الذئاب جسد السجين، وهو تعبير عن القهر والاستنزاف النفسي والجسدي الذي يعيشه. ويضيف في بيت آخر، معبّرًا عن العـزلة المطلقة، فلا يوجد من يواسيه أو يخفف عنه، ولا رسالة تصل إليه لتطمئنه، مما يعزز إحساسه بالغربة والخذلان:

لاَ بارقٌ يلمع في الظلّمة لا خطــابْ[4]

---

1. المصدر السابق، ص 5.
2. المصدر السابق، ص 6.
3. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة رسائل إلى مدينتي، ص 50.
4. المصدر السابق، ص 50.

فلا نور ولا أمل، فقط صمت دامس يزيد من عذاب السجين.

تلك الهواجس قد باتت تؤرقني وسطوة الشك في جنبيّ تعتصرُ[1]

يصور كيف أصبحت الأفكار والهواجس مصدر عذاب مستمر له، حيث يعيش في حالة من القلق الدائم والشك فيمن يحب.

صِرْتُ للأقْدامِ مَلْهَاة وَلِلحُزْنِ صَدِيق

صِرتُ للهمّ رَفِيق[2]

هذه العبارات توضح كيف أصبح الحزن والمشاعر السلبية جزءًا من الحياة اليومية، حيث يترافق الألم مع كل خطوة ويتحول الهم إلى رفيق لا يفارق الشخص.

وَبِعينيكَ قَتَامٌ وبِجَنبيكَ حَريقٌ[3]

هذه الصورة تصور التأثير النفسي العميق، حيث إن العينين اللتين من المفترض أن تعكسا الضوء والأمل، مليئتان بالظلام، بينما يشعر الشخص بحريق داخلي من الألم الذي لا يخف.

وانطوت في الصّدْر أحلام كواها اللّهبُ

فتلاشت كسرابٍ هائمٍ تَغْتربُ[4]

هذه الصور تشير إلى تلاشي الأحلام والطموحات بسبب الصعوبات، وانطفاء الأمل.

هانت الدّنيا بعينيكَ وهَانَ المَطلبُ

لم يعدْ يجرحك الإذلال أو ركلةُ جَلْفِ[5]

1. المصدر السابق، ص 8.
2. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة الجرح، ص 36، 37.
3. المصدر السابق، ص 36.
4. المصدر السابق، ص 39، 40.
5. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة رسائل إلى مدينتي، ص 50.

هذه العبارات تعكس مرحلة الاستسلام التي يمر بها الشخص، حيث تصبح الحياة بلا قيمة ولا مؤثرات، حتى الألم لم يعد يشكل جرحًا حقيقيًا لأن الشخص أصبح متعودًا عليه. ويستمر الخوف حتى يصبح جزءًا من حياة السجين اليومية:

يتآكل عمرك لا أكثر، وتخيفُك أقدام العسكر[1]

هذه الصورة تعكس شعورًا بالمرور المتسارع للزمن دون فائدة أو تغيير، الشخص يشعر بأن عمره يتآكل في السجن، وأنه لا يتقدم في الحياة بل يتقهقر، مما يعكس المعاناة النفسية الناتجة عن الإحساس بالضياع والركود. وفي مشهد آخر يصور حالة من الغضب الداخلي والاحتجاج على الظروف القاسية، لكن الصوت الذي يخرج لا يتجاوز جدران السجن (العنبر)، مما يعكس الشعور بالعجز وعدم القدرة على التغيير أو التعبير عن النفس بحرية فيقول:

وتظلّ تثور وتتذمّر، وصَداكَ يُرجّعُهُ العَنبَرْ[2]

آفاق الشعر وتجاوز المعاناة:

الشعر ليس مجرد كلماتٍ تُنظم على وزنٍ وقافية، بل هو مساحةٌ للحرية، وطريقٌ لتجاوز الألم، وصوتٌ يعلو فوق القيود والسجون. في التجارب الإنسانية القاسية، يصبح الشعر وسيلةً للمقاومة، وسلاحًا ضد القهر، ونافذةً يطل منها الشاعر على الأمل، حتى وإن كان محاصرًا بين جدران الزنزانة.

أولًا: استخدام الرموز والخيال، لفتح نوافذ الأمل:

أدرك راشد الزبير أن الشعر قادر على استيعاب المعاناة الإنسانية وصياغتها برؤية خيالية مبتكرة تخلق واقعًا مغايرًا، يحمل في طياته إشراقات المستقبل:

لا ظلمة السجن لا السجان أرهبها لا البطش عوق مسراها ولا النزق[3]

1. المصدر السابق، ص 50.
2. المصدر السابق، ص 50.

فرمز "الظلمة" يشير إلى القهر والعزلة، لكنها لا تخيف الشاعر، مما يوحي بقوة الأمل الذي يضيء طريقه رغم هذه العتمة. فاستخدام الظلام كرمز للخطر يعكس تمسك الشاعر بالنور الداخلي الذي يجعله يواجه هذه المصاعب. ويؤكد ذلك بقوله:

لا يُحقر الضوء إن غامت مسالكه فكلما اشتدت الظلماء ينطلق[1]

فالضوء هنا رمز للأمل والتفاؤل حتى في أشد الأوقات حلكة، أما "المسالك الغائمة"، فتشير إلى العقبات التي قد تعترض طريق الحرية، لكنها لن تمنع الضوء من الانطلاق، مما يؤكد أن الأمل لا يختفي. وفي تصوير مؤثر للحبيبة كرمز للنور الذي يزيل ظلام المعاناة، يقول:

أضأت ليلى فهانت كلّ معضلة وكنتِ في عالمي الأفلاكُ تتسّق[2]

يشير "الضوء" إلى الحبيبة، فهي هنا رمز للنور الذي يزيل ظلمة السجن واليأس، أما "الليل"، فيمثل اليأس والقنوط، لكن حضور الحبيبة كمصدر للضوء يجعل كل الصعوبات هينة، مما يفتح نافذة أمل واسعة. وتتحول هذه الرمزية لاحقًا إلى وعد بانتصار الفجر على الظلام، حيث يؤكد الشاعر أن النور قادم لا محالة:

فقل لمن جفلوا مني مسايرةً للظّالمين سيعلو الفجرُ والفلقُ[3]

ثم ينتقل إلى تصوير الحبيبة كملاذ روحي، يمنحه الصفاء والسكينة بعد المعاناة:

قد جئتُ أحمل آلامي لأودعَها عينين يعذُب في صفويهما الغرقُ[4]

أما عن الترقب والتطلع إلى الحرية، فيصور الشاعر محاولته التوجه نحوها بدافع من

---

3. ديوان: عائد من العالم الآخر، قصيدة بطاقة عودة، ص 3.
1. المصدر السابق، ص 4.
2. المصدر السابق، ص 3.
3. المصدر السابق، ص 4.
4. المصدر السابق، ص 4.

الرغبة في التحرر، فيقول:

وقمتُ ورغبةٌ في الصَّدر نحو الباب نستبقُ[1]

حيث يرمز "الباب" إلى الحرية والخلاص، رغم القيد الجسدي، فإن الرغبة الداخلية ترسم صورة أمل يسعى الشاعر لتحقيقها، مما يعبر عن مقاومة القهر والإيمان بوجود مخرج. ويتضح ذلك في قوله:

أخالس نظرةً عجلى لعلّ السَّمع يسترقُ[2]

فـ"النظرة العجلى" و"السمع الذي يسترق" يرمزان إلى لحظات ترقب وأمل في وجود فرصة للتواصل أو الوصول إلى الحرية، وكأن الشاعر يتسلل عبر الحواس بحثًا عن نافذة أمل حتى في ظل القيد. ثم يبرز صورة الزمن المتغير التي تحمل في طياتها بصيص أمل:

ومن يأتي ومن يمضي على كفَّيه ينزلقُ[3]

حيث يرمز "المجيء والمضي" إلى التغيير المستمر، وكأن الحياة رغم القيود تستمر في دورانها، موحيًا بأن الزمن قد يجلب معه فرصة للتحرر، وأن الحال قد يتبدل مهما بدا الظرف قاتمًا. ويمضي في وصف تقلبات الحياة التي قد تأتي بما لا يتوقعه المرء، لكن رغم ذلك، لا يغيب الأمل:

تميل وطبعها طرفٌ وتخلف حين تتّفقُ[4]

يشير هنا إلى الدنيا بطبيعتها المتقلبة، ورغم أن راشد يذكر خذلانها، إلا أن إشارة "الطبع" و"الميل" تحمل في طياتها معنى الأمل؛ إذ كما تميل الدنيا ضد الإنسان، قد

1. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة من كوة الزنزانة، ص 20.
2. المصدر السابق، ص 20.
3. المصدر السابق، ص 21.
4. المصدر السابق، ص 25.

تميل لصالحه يومًا ما، فالرمز هنا يكشف عن إيمان بإمكانية التغيير. ويتكرر استخدام رموز توحي بالتحرر والانطلاق، كقوله:

أيّها الطّائر الميمّم أحبابي تمهّل ألقي إليك قيادي[1]

فالطائر هنا رمز للحرية والانطلاق، إذ يتوجه الشاعر بخطابه إليه، متوسلًا أن يأخذ بيده ويوصله إلى أحبائه. وهو يؤكد هذه الصورة بقوله:

خلّ أحلامي الحبيسة تعلو بجناحيك صوب أفقٍ ينادي[2]

يعبر راشد عن رغبة عميقة في إطلاق أحلامه المكبلة داخل السجن، مستخدمًا الطائر كرمز للحركة والانعتاق، أما "الأفق"، فهو يرمز إلى الأمل والمستقبل المشرق. ثم يؤكد اقتراب الفرج مستخدمًا صورة الصبح رمزًا للخلاص:

قف تمهّل فإنّ موعدنا الصّبح نديًا وقدْ دنا ميعادي[3]

فالصبح في هذا البيت رمز للأمل والتجدد والانتصار على الظلام، والشاعر يربط بين الصبح والتحرر من المعاناة، مشيرًا إلى أن موعده مع الخلاص قريب. ويواصل استعارة الطائر ليجسد رغبته العميقة في الانعتاق من السجن:

وأعرني منك الجناحين أمضي للأحبّاء خلف تلك الوهاد[4]

حيث ينتظر هناك الدفء والسكينة التي حُرم منها:

حيث دفءُ الشّمس الضّحوكِ وأنفاسُ حبيبٍ تزيح همّ فؤادي[5]

أما عن قوة الكلمة، فيبرزها الشاعر بوصفها وسيلة مقاومة للأسر والظلم:

---

1. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة من عذيري، ص 3.
2. المصدر السابق، ص 3.
3. المصدر السابق، ص 4.
4. المصدر السابق، ص 4.
5. المصدر السابق، ص 4.

بالأمس حلمتُ بأن يدي ملأى بحروفٍ تتوقّدْ[1]

فالحروف هنا ترمز إلى الفكر والإبداع، اللذين لا يمكن قيدهما. ويعزز ذلك بقوله:

وبأنّ التّربة أفواهٌ بحنين الأعصر تتنهّدْ [2]

حيث يجعل التربة كائنًا حيًا يتنفس ويتحدث، في مشهد خيالي يعكس رؤية الشاعر لأفق جديد من الحياة والانطلاق. ويقول في موضع آخر:

إنْ طاولها اللّيل تسامتْ أو مدّ لها الحيلة ترفضْ

تقبلُ بالقّادمِ مجدُولاً بخيوطِ الفجرِ متى يومضْ[3]

فالليل هنا رمز للقيود والظلم، لكن الكلمة لا تستسلم له، إنها تنتظر الفجر، الذي يمثل بصيص الأمل وانتصار الحرية على القيد، يقول:

تختزنُ معاناة الأجيالِ وتطلقها صعدًا فرقدْ

يخترقُ الظّلمة موعودًا بصباحٍ كالمارِدِ يصعدْ[4]

كما أن الكلمة، منذ أن منحها الله للرسل، ستبقى مشعلًا لا ينطفئ أمام الظلم:

الكلمة مذْ حمّلها اللهُ الرّسلَ وأودعها سرّهْ

ما زالتْ قاهرة الظلماتِ وتحملُ في شرفٍ أمرهْ[5]

حيث يجعل الشاعر الكلمة رمزًا للرسالة الإلهية التي تحمل النور وتنتصر على الظلام، مشددًا على قوتها في الصمود وتحقيق النصر. ويصرّ راشد على التشبث بالأمل، معبرًا عن تمسكه بالحلم رغم المخاوف والضَّباب:

---

1. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة الكلمة، ص 6.
2. المصدر السابق، ص 6.
3. المصدر السابق، ص 10.
4. المصدر السابق، ص 6.
5. المصدر السابق، ص 11.

الحلم يخشى الاغتصاب

والصّحو لا يجد الأمان وقد أحاط به الضّبابْ[1]

وفي النهاية، يعلن تحديه لسلطة الظلم:

يا سيّدي السّلطان تلك حياة منْ فقد اختياره

لكنّه صعبٌ إسارهْ[2]

فالروح تظل حرة رغم القيد، والمقاومة لا تزال حاضرة، مما يجعله نموذجًا للتحدي والتفاؤل وسط الظلم. ورغم الظلام والقيود، يبقى الأمل في التحرر حاضرًا، حيث يؤمن الشاعر بأن الاستبداد لن يدوم:

وأن جعجعة الجلاد زائلة يومًا وأن ظلامَ السجن ينحسر[3]

هو يرى أن الأيام ستدور، وأن الحرية قادمة لا محالة، حتى لو طال انتظارها، ويعبّر عن إيمانه بأن الظلم والسجن ليسا أبديين، وأن النور سيأتي ليبدد هذا القهر، مما يعكس الأمل في الخلاص.

وكنت أقنع نفسي أن موعدها آتٍ لأنّكِ عندي السّمع والبصرُ[4]

يستخدم صورة الحبيبة كرمز للأمل والحرية، فهو يؤمن بأنه سيلتقي بها مجددًا، تمامًا كما يؤمن بأن فجر الحرية سيشرق من جديد.

علّمتني أن بذل الرّوح مفخرة فدى لعينيك عمر منك ينحدر[5]

1. المصدر السابق، ص 19.
2. المصدر السابق، ص 22.
3. المصدر السابق، ص 50.
4. المصدر السابق، ص 50.
5. المصدر السابق، ص 50.

هنا قد تكون الحبيبة رمزًا للوطن، حيث يُظهر استعداده للتضحية بروحه من أجلها، مما يفتح نافذة للأمل في تحقيق النصر رغم التضحيات.

قزم تعلق بالأحقاد يحسبها دربَ الوصول ولكن خانه النظر[1]

يرمز الطاغية إلى الظلم والاستبداد، ويصفه بالقزم، مما يوحي بصغر شأنه وزواله المحتوم، مما يعزز الأمل في انتصار العدل في النهاية.

أرضعتني قصصا يا طالما انطلقت وثابة تتحدى القهر تنتصرُ[2]

هنا يستخدم صورة خيالية للقَصص ككائن حيّ يثبُ ويتحدى، مما يعزز فكرة أن الإرادة والصمود ستنتصر في النهاية، رغم القهر والمعاناة.

أيّها الجرح ومن لقّنك الصّمت على كلّ ظلامه[3]

في هذه العبارة، الجرح الذي يعد رمزًا للألم يتحول إلى مصدر للحديث والتعبير عن المعاناة، وهو ما قد يرمز إلى بداية التحول أو المقاومة الداخلية. الفكرة هنا أن الشخص الذي مرّ بالمعاناة قادر على التعبير والحديث، وهذا يشير إلى بداية التحرر النفسي. ويضيف:

أنت أقوى منْ عناد البغي من طعنة خنجر[4]

فالاستبداد مهما اشتد، يمكن كسره، والقوة الحقيقية ليست في القمع، بل في الإرادة الحرة التي ترفض الانحناء. هذا النص يبرز قوة الذات الداخلية التي يمكن أن تكون أقوى من أية قوى معادية، مما يعطي الأمل في أن النضال والمقاومة يمكن أن يتغلبا على الظلم. يصل راشد إلى يقين بأن الحرية آتية، وأن الليل مهما طال، لا بد أن ينجلي:

أمطر الأرض فتصحو إنّها ترتقبُ[5]

---

1. المصدر السابق، ص 50.
2. المصدر السابق، ص 50.
3. المصدر السابق، ص 50.
4. المصدر السابق، ص 50.
5. المصدر السابق، ص 50.

فكما أن الأرض العطشى تنتظر المطر لتعود إلى الحياة، فإن النفوس المتعطشة للحرية تنتظر لحظة الانعتاق من القيود، هنا تُستخدم صورة المطر لتكون رمزًا للتجدد والانتعاش، حيث المطر يعيد الحياة للأرض بعد جفاف طويل. هذه الصورة تشير إلى الأمل في الإصلاح والتغيير، وأنه بالرغم من المعاناة، يمكن أن تكون هناك لحظة صحو أو فرصة جديدة تأتي.

حرّك النّخوة كي تهدم ليلاً يتعهّرْ[1]

هذه الصورة تدعو إلى تحفيز النخوة والهمّة من أجل تحطيم القيود الليلية (الظلام) الذي يعاني منه الشخص، يمكن تفسير هذه الدعوة إلى هدم الليل كدعوة للإفاقة والتحرر من الظلام النفسي والمادي، ورمزًا للأمل في التغيير.

رحم اللهُ الألى قدْ عشقوا العمرَ نضالاَ[2]

هنا تذكير بالنضال والتضحية من أجل المبادئ، وأن النضال هو طريق للخلاص والكرامة، كما أن الذكرى الطيبة للمجاهدين في الماضي تعطي الأمل في إمكانية التغيير من خلال الثبات والمقاومة. ويؤكد ذلك في صورة رمزية أخرى:

لكن الفجرَ على الرّبواتِ سيفترّ، لا غُبنٌ فيه ولا ضَرّ[3]

هنا، يُستخدم الفجر كرمز للأمل والتجدد، فالفجر يرمز إلى بداية جديدة ونهاية الظلام، مما يشير إلى إمكانية التحول بعد المعاناة والظلام.

ويعطّر ذكرى من مروا
ويقبّل جبهةَ من قد أضناهُ الكَرّ[4]

1. المصدر السابق، ص 50.
2. المصدر السابق، ص 50.
3. المصدر السابق، ص 50.
4. المصدر السابق، ص 50.

يتم استخدام الربيع هنا كرمز للنمو والتحول الإيجابي، حيث يعطر الزهور ويجدد الحياة، ويشير هذا إلى أن التغيير يمكن أن يحدث بعد فترة من الألم والعناء، وأن الذكريات الجميلة يمكن أن تحيي الأمل من جديد.

ليطل ربيع وزهور، وأغان يغزلها النور

وتعود إلى الوكر طيورُ، بالشّوق فتحضنها الحورُ

وتدور الأيام تدور، بالخير وينهدم السور[1]

الطيور والزهر في الأبيات تمثل رمزًا للتحرر والنمو، الطيور تعود إلى أعشاشها بعد الطيران بعيدًا، والزهر يزدهر في الضوء، مما يعكس فكرة الخروج من الظلام إلى النور، وعودة الحياة والنضارة، و"تدور الأيام" تعبير عن مرور الزمن، حيث في النهاية ستهدم الأسوار ويزول الحبس، مما يرمز إلى قدرة الزمن على تغيير الواقع وتحقيق الأمل بعد المعاناة.

ثانيًا: تصوير الحرية كحلم ورمز للصمود:

الحرية تُجسّد كحلمٍ يداعب خيال راشد، وكصوتٍ يعلو رغم القيود، مما يجعلها رمزًا للصمود والتحدي في وجه الظلم، يُظهِر راشد توقه الشديد إلى التحرر من الأسر، وإرادته القوية في مواجهة القهر، مستخدمًا صورًا شعرية ترمز إلى هذه المعاني بعمق، ويخاطب الذين يخافون من الظلم ويستسلمون له قائلا:

فقل لمن جفلوا مني مسايرةً للظّالمين سيعلو الفجرُ والفلقُ[2]

هنا، يرمز "الفجر" و"الفلق" إلى الحرية والانتصار على القهر، يوظف راشد هذه الصور ليؤكد أن الظلم مهما طال، فإن الحرية قادمة لا محالة، وأن الصمود هو الطريق لتحقيقها. وفي مشهد آخر، يصور الحرية كطائر يحلق فوق السجن، متحديًا جدرانه:

1. المصدر السابق، ص 50.
2. ديوان: عائد من العالم الآخر، قصيدة بطاقة عودة، ص 4.

كم مرة حوّمت حولي مناجية واجتازت السّور للأَنّاتِ تسترق[1]

اجتياز السور هنا يرمز إلى تجاوز القيود، فالحرية ليست مجرد حلم بعيد، بل هي طائرٌ يحوم حول الشاعر، يلامس أناته، ويؤكد له أن القيود الجسدية لا تستطيع أسر الروح. وكلما اقتربت الحرية، تحفّز راشد للتحرك نحوها:

وقمــتُ ورغبةٌ في الصَّدر نحْو البـاب نستبـقُ[2]

الباب هنا يرمز إلى الانعتاق والخلاص، والرغبة المتقدة في الصدر تمثل الصمود الداخلي، مما يعكس إصرار الشاعر على بلوغ حلمه بالحرية رغم كل العقبات. غير أن هذه الرغبة تصطدم بالحسرة والألم الذي يعتصره، فيحاول أن يكبته لكنه ينفجر داخله كبركان:

تزلزل صـدري الحسراتُ أكبتهـا فتنطـلـقُ [3]

ورغم كل هذه المشاعر، فإن اليأس يحاول التسلل إلى قلبه، لكنه لا يستسلم له، بل يراه مجرد غواية يحاول التغلب عليها كما في قوله:

أحسُّ اليّأس يجذبنــي ويستهويني الغرقُ[4]

اليأس والغرق هنا يرمزان إلى الاستسلام، لكن استخدامه لكلمة "يجذبني" و"يستهوي" يوحي بأنه يقاوم هذا الشعور، ويظل متمسكًا بالأمل رغم الصعاب. ويتجلى هذا الصمود في قوله:

وبي شـوقٌ لأعـرف مـن يمزقُ جسمهُ النَّزقُ

ويجهد حين يخفي الآه كي لا يشمت الأفقُ[5]

1. المصدر السابق، ص 2.
2. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة من كوة الزنزانة، ص 20.
3. المصدر السابق، ص 21.
4. المصدر السابق، ص 25.

هنا، يصور الألم الذي يعانيه، لكنه رغم ذلك يرفض أن يظهر ضعفه، وكأنه يقول: إن الصمود في وجه الظلم صورة من صور الحرية. ورغم القهر، فإن الحرية تبقى حلمًا حيًا لا يمكن أن يذبل:

فلديك أوراق وأقلامٌ، فأنت إذن تفكّر[1]

الورق والقلم هنا يرمزان إلى الحرية الفكرية التي لا يستطيع السجن أو القمع أن يقيّدها، مما يعكس أن الحرية ليست فقط حرية الجسد، بل هي أيضًا حرية الفكر والتعبير. ويواصل تأكيد هذه الفكرة بقوله:

فالليّل والأغلال أقوى من عناد الحرف، زلّ الحرف والأسوار ثابتةٌ مكانهْ[2]

رغم قوة الليل والأغلال، فإن الحرف يبقى رمزًا للمقاومة، مما يعكس أن الحرية الفكرية أقوى من القيود المادية. ويعبر عن يقينه بأن الحرية قادمة، مهما طال ليل القهر، فيقول:

تقبلُ بالقّادمِ مجدُولاً بخيوطِ الفجرِ متى يومضْ[3]

هنا، يتحول الفجر إلى وعدٍ لا مفر منه، فالحرية ليست مجرد حلم، بل هي مصير محتوم لمن يصمد في وجه الظلم. الحرية كحلم يتجاوز حدود السجن والجدران، وكقوة داخلية لا يستطيع القيد أن يطفئها، إنها رمزٌ للصمود والإصرار على الكرامة، حيث يعبر الشاعر عن تطلعه للتحرر من القيود، ويوجه رسالة قوية بأن النور أقوى من الظلام، وأن الحرية مهما بدت بعيدة، فهي تظل هدفًا يتحقق بالصبر والنضال.

ورحت أحلم بالأيام مقبلة وقد تبسّم في ظلمائها القدر[4]

---

5. المصدر السابق، ص 21، 22.

1. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة محضر تحقيق، ص 13.

2. المصدر السابق، ص 13.

3. ديوان: الفجر يكتسح المدى، قصيدة الكلمة، ص 10.

4. ديوان: من كوة الزنزانة، قصيدة رسائل إلى مدينتي، ص 50.

هنا يصور الحرية كحلم جميل، حيث يرى أن المستقبل سيحمل له الفرج، وأن القدر سيبتسم رغم الظلام المحيط به، مما يعكس الأمل في الخلاص.

أرنو إلى الماء والأغلال تمنعني وأشتهي الصبح والآفاق تعتكرُ[1]

الماء هنا يرمز إلى الحياة والحرية، لكنه محجوب عنه بسبب قيوده، والصبح يمثل الأمل في التحرر، لكنه لا يزال غارقًا في الظلام، مما يعكس الحرية كحلم يراوده لكنه لم يتحقق بعد.

علّمتني أن بذل الرّوح مفخرة فدى لعينيك عمر منك ينحدر[2]

هنا يربط الشاعر الحرية بالتضحية، فهو مستعد لبذل روحه من أجلها، مما يعكس الصمود والتحدي في مواجهة الظلم.

إني برئت من الأعراق إن رضيت هذا الخنوع وأغرى نبضها الخدر[3]

يعبر الشاعر عن رفضه المطلق للاستسلام، ويؤكد أن الصمود هو السبيل الوحيد لتحقيق الحرية.

وبدا الأفق الّذي لوّنه الحلم يضيقْ[4]

هنا، يُصوّر الأفق (الذي قد يرمز إلى الحرية أو الأمل) بأنه يضيق ويصبح بعيد المنال، ورغم أن الحلم بالحرية موجود، إلا أن الظروف الصعبة تجعل الوصول إليها يبدو صعبًا، مما يعكس حالة من الترقب والانتظار.

أنت أقوى منْ عناد البغي من طعنة خنجر[5]

---

1. المصدر السابق، ص 50.
2. المصدر السابق، ص 50.
3. المصدر السابق، ص 50.
4. المصدر السابق، ص 50.
5. المصدر السابق، ص 50.

هذه العبارة تُظهر الحرية كرمز للقوة الداخلية التي تُقاوم البغي والظلم. الحرية هنا ليست مجرد غياب القيد، بل هي صمود وتحدٍّ ضد الطغيان والعنف، ما يعكس مقاومة الروح في مواجهة التحديات.

حرّك النّخوة كي تهدم ليلاً يتعهّرْ[1]

الحرية تظهر هنا كدافع للنضال والصمود ضد الظلم والظلام (الليل)، والنخوة (الشرف والعزة) هي المحرك الأساسي لالتحاق الشخص بالحرية، ما يشير إلى أن الصمود من أجل الحصول عليها هو فعل من أفعال المقاومة.

وامتهانٌ للقداسات وغدرٌ بالكرامةْ[2]

هذه الصورة تتناول السلب المستمر للكرامة الإنسانية، ويمثل الصراع من أجل استعادة هذه الكرامة حرية حقيقية. العودة إلى القيم المقدسة والكرامة تُعتبر تجسيدًا للتحرر من القيود التي تفرضها الظروف القاسية.

لا تتوقع أن يلد الغيب لكَ الأملا[3]

هذه الكلمات تشير إلى أن الشخص لا يمكنه انتظار أن تأتي الحرية أو الأمل من غير جهد أو مقاومة، فالحرية هنا تُصوَّر كحلم يحتاج إلى العمل والتماسك لتحقيقه، والانتصار الحقيقي لا يكون بالاستسلام، بل بالمقاومة:

عش منهزمًا أو عِش بطلا[4]

هنا، يُقدَّم خياران: إما العيش في الهزيمة والقبول بالقيد، أو الصمود والنضال لتحقيق الحرية. هذه العبارة تعكس أن الحرية تتطلب الصمود والمقاومة في مواجهة الظلم.

1. المصدر السابق، ص 50.
2. المصدر السابق، ص 50.
3. المصدر السابق، ص 50.
4. المصدر السابق، ص 50.

لا ترفَع صوتَك أو واجه سوط السجّانْ[1]

رغم التهديدات القاسية من السجان، تُبرز هذه العبارة فكرة الصمود والتحدي في مواجهة القمع. الحرية تتطلب مواجهة الخوف والظلم بشجاعة.

وارفع قامتكَ لتُفلتَ من طوق الجِدرانْ[2]

هذه الصورة تعكس الصمود في مواجهة القيود المادية والنفسية التي تحد من الحرية، وتُظهر الحرية كقيمة عُليا يسعى الشخص للوصول إليها عن طريق الصمود والتحمل.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة التحليلية لدواوين راشد الزبير التي كتبها أثناء سجنه يتضح أن الشعر لم يكن مجرد وسيلة تعبير عن الألم والمعاناة، بل كان سلاحًا مقاومًا، ونافذة تطل منها روحه على الأمل والحرية. لم يكن السجن قيدًا على فكره أو كلماته، بل أصبح فضاءً شعريًا واسعًا يُعبّر فيه عن تجربته، مستخدمًا الرموز والصور الشعرية ليجسد معاناته، ولكنه في ذات الوقت يزرع بذور التحدي والصمود.

لقد أظهرت أشعاره أن السجن ليس مجرد مكان مغلق، بل تجربة وجودية تُعيد تشكيل الإنسان، وتدفعه إلى التأمل، وتعزز من قوة الفكر والمقاومة الداخلية، كما أن ديوانه الأخير الفجر يكتسح المدى كان بمثابة إعلان لانتصار الحرية، وانكسار القيد، وانبعاث الأمل من جديد. لقد برهن راشد الزبير أن الشعر يمكن أن يكون وسيلة للتحرر حتى في أقسى الظروف، وأن السجن وإن كان يقيد الجسد، فإنه لا يستطيع أن يكبل الروح والإبداع، ومن خلال هذه الدواوين، أرسل راشد رسالة واضحة مفادها: أن

1. المصدر السابق، ص 50.
2. المصدر السابق، ص 50.

الحرية ليست مجرد مكان، بل هي حالة فكرية ووجدانية لا يمكن قمعها، وأن الفجر لا بد أن يكتسح المدى يومًا ما.

النتائج:

بعد تحليل الدواوين الثلاثة، يمكن تلخيص أهم النتائج في النقاط التالية:

السجن كفضاء شعري: استطاع راشد الزبير أن يحوّل السجن من مكان للقهر إلى مصدر للإلهام الشعري، فكان الشعر وسيلته للبوح والتحدي في آنٍ واحد.

الرمزية في شعره: استخدم راشد الزبير الرموز بشكل مكثف، فجعل من الطائر، الضوء، الباب، والفجر رموزًا للأمل والانعتاق، بينما كانت الجدران، الظلام، السجان، والقيود تعبيرًا عن القهر والعزلة.

المعاناة النفسية والوجدانية: تميزت أشعاره بصور تعكس الألم النفسي العميق الذي سببه له السجن، حيث ظهر الحنين إلى الأحبة، والشوق إلى الحرية، والصراع الداخلي بين الأمل واليأس.

التطور في الرؤية الشعرية: في الديوان الأول من كوة الزنزانة، كان الحزن واليأس مسيطرين، أما في عائد من العالم الآخر فقد ظهر نوع من التأمل والوعي العميق بتجربة السجن، ثم في الفجر يكتسح المدى وصل إلى ذروة الأمل والانتصار على القيد.

البعد الإنساني والتاريخي: لم يكن شعر راشد الزبير مجرد تجربة فردية، بل يعكس معاناة السجين السياسي بشكل عام، ويجسد صراع الإنسان ضد الظلم والقمع، مما يجعله وثيقة أدبية تحمل أبعادًا إنسانية وتاريخية.

التوصيات:

1. **دراسة أعمق لأدب السجون:** من المهم تسليط الضوء على التجارب الأدبية التي نشأت داخل السجون، وتحليل تأثير القيد على الإبداع الأدبي.

2. **إدراج أشعاره في المناهج الأدبية:** يمكن الاستفادة من شعر راشد الزبير في دراسة أدب المقاومة، لما تحمله قصائده من دلالات إنسانية عميقة.

3. **إقامة ندوات وفعاليات حول تجربته:** التعريف بتجربة راشد الزبير الأدبية عبر الندوات والمناقشات الأدبية، لإبراز دور الشعر في مقاومة القهر والاستبداد.

4. **إعادة نشر وتحقيق دواوينه:** الاهتمام بإعادة طباعة وتحقيق دواوينه الشعرية، مع تقديم دراسات تحليلية متخصصة حولها.

5. **دراسة مقارنة بينه وبين شعراء آخرين عاشوا تجربة السجن:** مثل محمود درويش، عبدالوهاب البياتي، ناظم حكمت، لاستخلاص القواسم المشتركة بين تجاربهم الشعرية.

المصادر والمراجع:

أولا: مصادر البحث الرئيسية:

1. السنوسي، راشد الزبير، ديوان من كوة الزنزانة. (مخطوط).

2. السنوسي، راشد الزبير، ديوان عائد من العالم الآخر. (مخطوط).

3. السنوسي، راشد الزبير، ديوان الفجر يكتسح المدى. (مخطوط).

4. عبدالحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ط 1، 2008.

ثانيًا: كتب عن أدب السجون تم الاستئناس بها:

1. البرزة، أحمد، الأسر والسجن في شعر العرب، مؤسسة علوم القرآن، ط1، 1986، بيروت.

2. حمدونة، رأفت خليل، أدب السجون، وزارة الإعلام الفلسطينية، 2018.

3. الداية، فايز، الأدب العربي في مواجهة القمع، دار المعارف، 1998.

4. الكوني، إبراهيم، أدب السجون في العالم العربي، دار الفكر، 2005.

5. المناصرة، عزالدين، أدب السجون: دراسة تحليلية مقارنة، المؤسسة العربية للدراسات، 2010.

6. يوسف، شعبان، أدب السجون، الهيئة المصرية للكتاب، 2014.